عن العلاقات اللبنانية الفلسطينية

كريم مروة

طرحت الاحداث الاخيرة التي جرت في لبنان بين المقاومة الفلسطينية والسلطة اللبنانية ، مجموعة من القضايا الاساسية في مقدمتها قضية العلاقات اللبنانية ـ الفلسطينية . وأهمية هذه القضية انها مرتبطة بالقضية الفلسطينية التي تلتقي حول الاهتمام بها ، ولو بالشكل ، ولو بالظاهر ، كل القوى العربية ، على اختلاف مواقعها ومواقفها . ويعود هذا الاهتمام الى عمق ارتباط القضية الفلسطينية بالوجود العربي وبالخطر الذي يشكله وجود اسرائيل العدواني في قلب الوطن العربي وعلى حدود أكثر من دولة عربية ، على هذه الدول جميعها ، وعلى شعوبها ، فضلا عن العلاقة القومية التي تربط شعوب البلدان العربية بهذه القضية ، وهي القضية القومية الوحيدة التي لا يثير الالتفاء حولها اي حاجز من أي نوع .

وقد كان من النتائج المباشرة لقوة وجود القضية الفلسطينية بالنسبة للشعوب والبلدان العربية ، أن ثلاث حروب حتى الان ـ هي الحروب الوحيدة التي خاضتها البلدان العربية ، في ربع قرن ـ كانت حروبا عربية جماعية ضد اسرائيل ، بصرف النظر عن شكل المشاركة ومستواها من قبل هذا البلد العربي او ذاك .

وكان من نتائج الوجود القوي لهذه القضية ، أيضا ، ان كل البلدان العربية ، بدون أستثناء ، يتواجد الان على أرضها قسم من الشعب الفلسطيني المشرد خارج وطنه . وبالطبع فان حصة البلدان الاكثر قربا من الارض الفلسطينية ، من هذا التواجد ومستلزماته ، هي ، بالضرورة ، اكبر من حصة البلدان الاخرى .

القضية الكبرى والواقع الراهن الذي فرضه بقاؤها بدون حل ، أمران متلازمان . وليس بمقدور أحد ، لا في السلطة ، ولا خارجها ، ان يتجاهل الامرين ، او ان يتجاهل أحدهما .

وقد كان يمكن لهذا الوضع الا يكون ، تماما كما هو عليه الان ، موضع نزاع وصراع ، بين أصحاب القضية . الا ان ظروفا ذاتية وموضوعية تضافرت لجعل هذا الوضع واقعا صعبا ومعقدا يزداد عمق ارتباطه بالحياة اليومية في البلدان العربية وفي لبنان بشكل خاص ، مع مرور الايام .

ويظن البعض ، في لبنان ، ان مجرد الرغبة في رفض امر واقع يكفي لازالته من الوجود . الا أن الواقع المادي أقوى من الرغبات .

وفي الحقيقة ، فان وجود الفلسطينيين ، اولا ، ثم المقاومة ، بالتالي ، على أرض لبنان بهذه الكثافة كان مسألة طبيعية . فقبل قيام دولة اسرائيل كانت العلاقات بين أبناء جنوب لبنان ومدن وقرى فلسطين ، أقوى مما كانت عليه بينهم وبين المناطق اللبنانية الاخرى ، بما في ذلك العاصمة . وخلال الحرب التي نشأت في أعقاب قيام اسرائيل تعرضت قرى بكاملها في الجنوب ليس فقط للاحتلال وللتدمير ، بل للقتل الجماعي ، بشكل يذكر بفظائع النازية أيام الحرب .